

الحق في العلاج: مساءلة الولايات المتحدة عن التكاليف البشرية الناجمة عن الحرب

بعد مرور عقد على غزو الولايات المتحدة للعراق يقوم كل من قدامى المحاربين الامريكيين والمنظمات الحقوقية العراقية بإطلاق مبادرة مشتركة يطالبون من خلالها بتقييم آثار الحرب على حقوق الانسان وبتخاذ اجراءات ملموسة لإعادة تأهيل والتعويض لأولئك الذين تأثروا من جراء الحرب. وتطالب هذه المجموعات ايضاً بالإنتهاء الفوري للحرب في افغانستان وبتقييم ومعالجة آثار الحرب على المجتمعات المحلية هناك.

وفي 19 مارس/آذار 2013، مع حلول الذكرى العاشرة للغزو الامريكي، قام كل من قدامى المحاربين العراقيين المعارضين للحرب، ومنظمة حرية المرأة في العراق، واتحاد مجالس ونقابات العمال في العراق بإطلاق مبادرة الحق في العلاج. وعن طريق مركز الحقوق الدستورية الذي يمثلهم قدموا طلباً لعقد جلسة استماع مواضيعية مع "لجنة البلدان الامريكية لحقوق الانسان" ساعين من خلاله للحصول على فرصة تقديم الادلة والشهادات التي تثبت آثار الحرب على حقوق الانسان ومسؤولية حكومة الولايات المتحدة في توفير العلاج وجبر الاضرار.

وتنطلق هذه المبادرة مع استمرار الحرب في افغانستان والتعدي على الحقوق الاساسية للشعب العراقي من قِبَل الحكومة التي انشأتها الولايات المتحدة هناك. ولا تزال عمليات نهب الموارد الطبيعية للعراق من قِبَل الشركات، ولا سيما في حقوله النفطية الشاسعة، مستمرة. إن حملة مبادرة حق العلاج – التي اطلقها اولئك الذين تأثروا تأثيراً مباشراً من جراء الحروب – لديها تصور مختلف للمستقبل مانحة الأولوية للصحة والمصالحة والمساءلة.

أثر الحرب على الانسان

كان لاستخدام الجيش الامريكي لبعض الانواع من الذخيرة ارتباطاً مبيناً بالمعدلات العالية من حالات السرطان والعيوب الخلقية وغيرها من المشاكل الصحية داخل المجتمعين العراقي والافغاني وكذلك في صفوف افراد الخدمة الفعلية في الجيش الامريكي وبين قدامى المحاربين.

وقد استخدمت القوات الامريكية في العراق وافغانستان اسلحة كالفوسفور واليورانيوم المنضب والقنابل العنقودية والقنابل الحارقة مارك 77 (الشبيهة بقنابل النابالم). وتمت ادانة هذه الانواع من الاسلحة من قِبَل المجتمع الدولي نظراً للآلام التي تكبدها على المدنيين. وقد شغلت الحكومة الامريكية، ولا تزال تشغل كمية هائلة من "المحارق" للتخلص من معظم النفايات الصلبة التي خلقتها قوات الولايات المتحدة، مما عرّضت ولا تزال تعرّض الجنود الامريكيين والمدنيين العراقيين والافغان للمواد السامة والمسرطنة.

وفي الفلوجة، التي شهدت خلال الحرب بعضاً من اشرس المعارك، يواجه السكان درجات عالية من حالات السرطان ووفيات الرضع والعيوب الخلقية. ووصف احد الباحثين الوضع في الفلوجة بأن "دراسة تمت على مجموعة سكانية اظهرت اعلى معدل للأضرار الجينية مقارنة بأي وقت مضى". ومقاطعة الحويجة الواقعة على مسافة بضعة اميال فقط من المحارق الموجودة في قاعدة بلد المشتركة التابعة لجيش الولايات المتحدة والتي تضم قاعدة العمليات المتقدمة ماكهنري تعاني بدورها ايضاً من معدل خطير في حالات العيوب الخلقية. وكشفت دراسات استطلاعية اولية قامت بها منظمة حرية المرأة في العراق ان ما يقارب ربع المواليد الجدد يولدون بعيوب خلقية، وهناك حاجة ماسة للقيام ببحوث مهنية في مجال الامراض الوبائية من اجل تقييم الآثار الصحية الناجمة عن الاسلحة والمحارق وتحديد العلاجات المطلوبة والخيارات المتوفرة.

لقد اشتكى قدامى المحاربين في العراق وافغانستان من امراض خطيرة بعد عودتهم من الجبهة، وينبغي اجراء المزيد من البحوث لتحديد الصورة الكاملة للتأثيرات الصحية، على المدى البعيد وخلال الاجيال القادمة، الناجمة عن تعرض قدامى المحاربين للمحارق والاسلحة والذخيرة. وبيّنت دراسة استطلاعية اجرتها حكومة الولايات المتحدة على 21 الف محارب قديم خدموا في حرب الخليج الاولى ان اولاد الذين خدموا في الخليج هم اكثر عرضة بمعدل الضعف او ثلاث اضعاف للعيوب الخلقية.

ان عدم معالجة الاصابات الجسدية والعقلية التي يعاني منها افراد الجيش اثرت عليهم شخصياً وعلى المجتمعات التي يعيشون فيها وتلك التي يتوجهون اليها لدى اعادة ارسالهم الى اماكن النزاعات المسلحة.

وأدت عمليات مكافحة التمرد المطولة في العراق وأفغانستان، إضافة إلى ممارسات الإرسال الروتيني للخدمة إلى زيادة حالات الصدمة لدى أفراد الجيش الأمريكي. وتمت عمليات إرسال للخدمة مرتين أو أكثر لما يزيد عن مليون جندي أمريكي كانوا قد خدموا في الحربين وذلك بنسبة 43 بالمائة. وكلما تمت إعادة إرسال الجندي إلى الخدمة كلما زادت إمكانية تعرضه لاضطراب ما بعد الصدمة الذي أصاب ما بين العشرين والخمسين بالمائة من أفراد الجيش الذين تم إرسالهم إلى ميدان الحرب إبان عام 2008. بالإضافة إلى ذلك، عانى تقريباً ثلث قدامى المحاربين العائدين من إصابات دماغية التي لا يزال تأثيرها على المدى البعيد مجهولاً للغاية.

وقد فاقت معدلات الانتحار في صفوف الجنود بكثير معدلات الموت في المعارك. ويتعرض الجنود الذين يسعون للحصول على العناية للسخرية كما أنهم يوصمون بالعار ويتم وضعهم على قوائم انتظار طويلة جداً وتنتهك أسرارهم وتعطى لهم أدوية قوية بدلاً من أن تُقدّم لهم استشارات نفسية، ضف إلى ذلك قيام قادتهم بمخالفة أوامر الطبيب حتى لدرجة، وبما في ذلك، إعادة إرسالهم من جديد إلى الحرب. ومع اقتراب نهاية الحرب يُصرف الجنود دون حصولهم على أي معونات نتيجة لارتكابهم مخالفات ناجمة عن إصابات الصدمة التي لا تحصل على العلاج اللازم لها.

إن ازدياد معدلات العنف الأسري والسجن والبطالة والتشرد أصبح الآن ظاهرة بين قدامى المحاربين في حربي العراق وأفغانستان. ويتكون الجيش الأمريكي بطريقة غير متناسبة من أبناء الطبقة العاملة والطبقة الفقيرة والأفارقة الأمريكيين والنساء الملونين. ولا يزال العدد الأكبر من الوفيات الناجمة من حربي العراق وأفغانستان من نصيب المجتمعات التي هي أصلاً متأثرة من الظلم الاقتصادي ومن تدهور الأوضاع الاقتصادية.

وأدى العنف الجنسي وذلك المبني على التمييز الجندي، كسلاح وكناتج الحرب، إلى الإصابة بالصدمة العميقة كما أنه ترك أثراً بعيد المدى على الرجال والنساء في العراق وأفغانستان ولكن أيضاً على أفراد الجيش الأمريكي.

وقد استُخدم العنف الجنسي، بما في ذلك الاغتصاب، خلال فترة الحرب ضد المدنيين العراقيين والأفغان. وكشف العدد الكبير من التقارير المستقلة، بما في ذلك تلك الصادرة عن التحقيقات المفوضة لجيش الولايات المتحدة، عن حالات اعتداءات جنسية منهجية على محتجزين مدنيين في مرافق الاحتجاز في العراق. وعلى الرغم من الحاجة لبيانات إضافية حول احتجاز المدنيين في أفغانستان قامت بعثة المساعدة الأمريكية لأفغانستان بتوثيق حالات تعذيب وإساءة معاملة المحتجزين شملت الضرب والتهديدات بالاعتداءات الجنسية واللوي والضغط على الأعضاء التناسلية والتعريض للصعق الكهربائي.

بينما لن تتمكن يوماً من معرفة العدد الكامل لتلك الحوادث إلا أن هناك عدد من التقارير حول حالات اغتصاب وإيذاء جنسي تعرض لها المدنيون على أيادي أفراد الجيش الأمريكي خارج مرافق الاحتجاز في العراق وأفغانستان. وفي مارس/آذار 2006، على سبيل المثال، يُزعم أن خمسة جنود أمريكيين تورطوا في قضية اغتصاب وقتل الصبية العراقية عبير قاسم الجبالي التي قام الجنود بحرق جثتها وقتل ابويها وشقيقتها.

وقد أثر العنف الجنسي المستوطن في هذه الاحتلالات على أفراد جيش الولايات المتحدة أيضاً. وتوصل استطلاع لشؤون قدامى المحاربين إلى أن خمس عدد الإناث وواحد بالمائة من عدد الذكور الساعين للحصول على العناية الصحية نقلوا تجربة جنسية تعرضوا لها دون موافقتهم أو ما يُعرف بالصدمة الجنسية العسكرية. واستنتجت البحوث الدراسية أن ثلث المجندات قد تعرضن للاعتداء الجنسي مما يشكّل أكثر من نصف مليون مجندة. إن الإناث والذكور الذين رويوا قصص تعرضهم للصدمة الجنسية العسكرية كانوا بدرجة أكبر بكثير عرضة لتشخيص على أنهم يعانون من مرض نفسي، بما في ذلك حالة الاضطراب ما بعد الصدمة، إضافة إلى حالات قلق أخرى واكتئاب وتعاطي المواد المخدرة، غير أن احتمال حصول أولئك الناجون من الصدمة الجنسية العسكرية على المعونات والتعويضات نتيجة لتعرضهم لاضطراب ما بعد الصدمة الناجم عن الاعتداء الجنسي هو أقل من أولئك الذين مروا بتجربة الاضطراب ما بعد الصدمة الناجم عن المعارك.

الحاجة للمساءلة وجبر الاضرار وتغيير السياسات والدعم للبرامج التي تركز على العلاج

المساءلة

لا يمكن التوصل الى العلاج دون الاقرار الفعلي بالضرر الناجم ودون المساءلة، ويشمل كلاهما العناصر الجوهرية للعدالة وجبر الاضرار. وينبغي على الولايات المتحدة السحب الفوري لكافة قوات الاحتلال من العراق وافغانستان على السواء. ولا بد على الولايات المتحدة الاقرار بعدم شرعية ولا إنسانية الحروب، وكذلك الاعتراف بمسؤوليتها تجاه الانتهاكات الحقوقية مثل جرائم الحرب والعنف المستند على الجندر، وتأثير الأسلحة والذخيرة على المدى البعيد، وحالات الصدمة غير المعالجة، والانتهاكات الحقوقية المستمرة من قِبَل النظام العراقي الذي تمّ انشاءه ودعمه من قِبَل الولايات المتحدة. ولا بد أيضاً من مساءلة دور الولايات المتحدة عن فرضها على العراق بطريقة مباشرة او غير مباشرة قوانين وسياسات أدت الى زيادة انعدام الامن، والى العنف ضد المرأة والاقليات الجنسية، والى انتهاكات لحقوق العمال، والى الحد من حرية التعبير لدى العراقيين.

جبر الاضرار

ولا يكفي ان تقر الولايات المتحدة بمسؤوليتها بل لا بد لها من اتخاذ تدابير ملموسة لجبر الأضرار على العراق مثل إجراء دراسات مناخية وصحية حول تأثير الحروب بهدف تحديد الكيانات والمناطق الجغرافية التي ينبغي فيها استهداف خدمات الرعاية الصحية، ولا بد لها أيضاً من تمويل وتكريس الموارد للعيادات الصحية بالتركيز بشكل خاص على اجهزة العلاج الطبيعي للأطفال المعاقين، والتعويض للأسر التي تعاني من العواقب الصحية الناجمة عن الاسلحة والذخيرة، والتعويض لأهالي ضحايا الحرب، وتمويل وتكريس الموارد الضرورية لإعادة بناء البنية التحتية للمجتمعات التي تعاني من ازمت الصحة العامة.

التغيير في السياسات المحلية

على صعيد الولايات المتحدة، لا بد من عمل تغييرات فورية في السياسات المتعلقة بتوفير العناية الصحية لأفراد الجيش الحاليين ولقدامى المحاربين. وتشمل بعض هذه التغييرات الضرورية ما يلي: التوفير الكامل للمعونات والتقديم الفوري للرعاية البدنية والنفسية اللازمة للجنود العائدين من الحرب ولقدامى المحاربين على السواء، وتقديم حماية قابلة للتنفيذ ضد وصمات العار وحالات الانتقام التي يتعرض لها اولئك الذين يسعون للحصول على الرعاية البدنية او النفسية، وتقديم حماية قابلة للتنفيذ من تدخل افراد التسلسل القيادي في خطط الرعاية البدنية والنفسية، ووضع سياسات تحمي حقوق الجنود في الصرف او التقاعد من الخدمة العسكرية والاعفاء من واجبات معينة لأسباب طبية، واخيراً، تقديم الخدمات لضحايا العنف الجنسي والمستند على الجندر بين افراد الجيش الامريكي ومجتمعاتهم.

إتخذ الاجراءات:

للحصول على معلومات اضافية تتعلق بالإجراءات التي يمكن لك اتخاذها وبالنشاطات الحاصلة يرجى زيارة موقعنا

العنكبوتي على: www.rightoheal.org.